خطوات النهضة الوطنية في مراكش
إلى الأمام

جلالة ملك البلاد يناصر الحركة ويؤيدها - الفرنسيون يضطربون للحركة ويصادرون الحريات - ويمنعون أربع صحف مغربية

(من مراسلاته للصحف والمجلات الشرقية - منتصف ماى 1933)

تطورت الحركة الوطنية المراكشية خلال الأشهر الأخيرة تطورا خطيرا لم يكن الفرنسيون يتصورونه مطلقا، فإن جلالة ملك البلاد الشاب الديموقراطي الذي كان دائما محط آمال العاملين ورجائهم أصبح من المؤكد أنه يعطف عطفا خاصا على حركة بلاده ويتمنى لها كل نجاح؛ فهو أينما ذهب تجمهر الشعب وحياه وهتف له من أعمق القلوب؛ وقد حدثت خلال هذا الأسبوع حوادث كانت سلسلة من المفاجآت؛ فإن السلطان سيدي محمد أراد السفر إلى فاس ليقضى هناك شهرا حسب ما جرت به العادة، فجرت المخابرة مع الهيئات الوطنية ومع المقر السلطاني في تنظيم الاحتفالات التي تقام له، وتم الاتفاق على كل شيء، وغادر السلطان ووزراؤه وحاشيته مدينة الرباط العاصمة فاقتبل بمدينة مكناس أحسن اقتبال وتلقاه الشباب بالهتافات العالية وقدم له هدية المصحف الكريم فتقبله من الشباب مسرورا مرتاحا وشجعه بكلمات ذهبية.

ثم غادر مكناس إلى مدينة فاس حيث اقتبله على أبوابها قبل الجميع الأفراد العاملون لخير وطنهم، فوقفت سيارة جلالة الملك ترحيبا بهم واقتبلهم أحسن اقتبال ولم تجر العادة مطلقا أن تقف سيارة جلالة الملك لأحد من المقتبلين لجلالته، وعندما دخل للمدينة علت أصوات

الهاتفين بحياته وحياة المغرب والإسلام والعروبة، فكان يحيي الجميع بيديه الكريمتين، وهنا نفد صبر الفرنسيين، فأمر رئيس الشرطة الافرنسية أعوانه أن يحولوا بين جلالة الملك وبين رعيته، ويرغموهم على السكوت من تلك الهتافات، فلم يستطيعوا شيئا من ذلك رغم كثرة مصادماتهم مع جماهير الشعب.

وفي اليوم الثاني لوصول جلالته لفاس اقتبل بقصره العامر السفراء والقناصل الأجانب والهيئات الرسمية؛ وفي اليوم الثالث زار مدفن مولاى ادريس مؤسس المملكة المغربية الإسلامية، فأرادت السلطة الفرنسية أن يكون منفردا في زيارته وأن تمنع الشعب من الاحتفال بملكه. لكن جماهير الشعب التي احتلت سائر الطرق المؤدية إلى مكان الزيارة حالت بين السلطة الفرنسية وبين أمنيتها، بل إن السلطان اخترق كل الطرق من دون حاشيته، وليس معه إلا رجال الكتلة الوطنية؛ فكان الشعب يردد الهتافات وينشد الأناشيد الوطنية بحماسة فائقة، وجلالته يسير الهويناء ويرد تحية شعبه بابتسامته ورفع يديه، ودخل جلالته مدفن مولاى ادريس وسط رجال الكتلة الوطنية فزاره وترحم على قبر مؤسس مملكته منذ اثنى عشر قرنا. ثم رجع إلى قصره وسط هذه الاحتفالات النادرة المثال، وكانت الرايات المغربية ترفرف على سائر الدور والدكاكين المغربية.

فاستاء الفرنسيون استياء لا مزيد عليه وعقدوا في الساعة الواحدة ظهرا من نفس اليوم اجتماعا في الإقامة العامة بالرباط بين رؤساء دار الحماية، وعلى إثره غادر الرباط المعتمد الافرنسي المسيو هيلو إلى فاس حيث وصل إليه في الساعة الثالثة والنصف، فاجتمع بجلالة الملك ودام الاجتماع بينهما نحو ساعة ونصف بلغت أشياء مما جرى وأشيعت عدة إشاعات عن موقف جلالة السلطان في اجتماعاته بالمعتمد نضرب عنها صفحا. وعلى إثر اجتماعهما غادر جلالة السلطان مدينة فاس إلى الرباط، فاضطربت المدينة وتوالت الاحتجاجات على عمل السلطة الافرنسية المخالف لأي ذوق وأدب، فرفع الوطنيون احتجاجا رسميا إلى رئيس الجمهورية الفرنسية ورئيس الوزراء ووزير الخارجية ضد معاملة

السلطة المحلية لجلالة السلطان ونشرها الدعاية ضد الوطنيين.

ثم أرسل جلالة السلطان في طلب السادات محمد الوزاني والناصري وعبد الجليل فحضروا لمدينة الرباط واجتمعوا في القصر السلطاني بصاحب المعالي محمد المقري رئيس الوزراء، فبلغهم شكر جلالة الملك وعطفه السامي على الهيأة الوطنية لما أظهرت من حسن اقتبال، وقال لهم إنه ينزههم مطلقا على أي أعمال صبيانية مما أشاعته مصادر لم ترض عما جرى. فكان لهذه المقابلة صدى عظيم في سائر الدوائر، فارتاعت السلطة الفرنسية واضطربت اضطرابا ما عليه من مزيد.

كان ذلك في يوم 14 ماى، وفي يوم 16 منه كانت الذكرى الرابعة لصدور الظهير البربري المعروف، فأذيعت المناشير في مختلف النواحي المغربية تندد بأعمال السلطة الفرنسية وسياستها البربرية المعهودة، وأضربت سائر المدن على العمل طول اليوم، ورفعت العرائض إلى جلالة الملك وإلى المقيم العام بباريز وإلى الوزارة الخارجية وإلى رئيس الوزراء الفرنسي تحتج بشدة على السياسة البربرية وتطالب بالعدول عن أية محاولة من محاولاتها، واجتمعت الجماهير عند الظهر في المساجد، وتليت الخطب، وابتهل الناس إلى ربهم أن ينقذهم وينصرهم على الظالمين الغاشمين، وحاصرت السلطة بشرطتها وجنودها المساجد ومنعت المظاهرات وقطعت المواصلات بين المدن.